ISSN 2170-0796

الانترنت والمعرفة

محمد فايز

لا أحدا في أنحاء المعمورة ينكر أن الإنترنت أصبحت أهم مصدر للثقافة والمعرفة يتعامل من خلالها الطالب والأستاذ والباحث والتقني والإعلامي والسياسي والاقتصادي والمصلح الاجتماعي والفنان والمؤسسات الرسمية والمدنية,كما أصبحت وسيلة للاتصال المكتوب والبصري و السمعي و تكتلت الأطياف المختلفة للمجتمع الإنساني في مواقع مختلفة تصدر أفكارها و ثقافتها مما يثبت صدق التسمية المعروفة علميا بالشبكة العنكبوتية، والمتأمل في طبيعة عمل العنكبوت يدرك أن هذه الدابة الصغيرة تنسج خيوطها الدقيقة في شكل هندسي عجيب يمتد من المركز إلي باقي أنحاء الجدران لتفترس الحشرات والذباب والبعوض بحيث تلتقط الفريسة من أي موقع شاءت وفق طريقة أودع الله تعالى أسراره فيها وله في خلقه شؤون.

لقد استطاع العقل العلمي المعاصر أن يبدع في صناعة هذه الآلية التقنية لتنظيم مجتمع المعرفة ويختصر الزمن في عملية نقل العلم و المعلومات والأحداث توسيع الروابط الاجتماعية والعلمية والثقافية وإيجاد وعاء لتطوير المهارات الفكرية والسلوكية والفنية ودخول مرحلة القرية الكونية.

ورغم وجود كثير من الأسئلة حول مصداقية كل ما يكتب على الانترنت ,وكيفية التعامل مع موا ضيع ليس لها كاتب و لا ناشر , أو الاعتماد على بحوث منشورة في مواقع يمكن أن تختفي في أي لحظة , أو المعايير التي تحكم النشر العلمي في الانترنت ، إلا أن الواقع أثبت أن المتعامل مع الانترنت استطاع أن يكتسب رصيد معرفي معتبر بعد ظهور هذه التقنية وأن يتجاوز مرحلة ندرة الكتاب والمجلات العلمية ويرتبط بالعديد من مراكز البحث والنشر في العالم في ظرف زمني أقل من دقيقة, مهما كان تأثير الهواة في عملية التأليف والنشر وتغييب المعايير المطلوبة وفقدان الأمانة العلمية والتوثيق النزيه في نقل العلم والمعرفة وأصبح الغث والسمين والحسن و السيئ و النافع والضار والمعقد والبسيط لا تحكمهم مقاييس واضحة و لا قواعد ثابتة لكن الأخطر من ذلك كله أن هذا النشر المعرفي العابر للقارات أفقد كثير من المجتمعات خاصة العالم الثالث القدرة على البحث الميداني في المخابر وتأسيس مرجعية علمية من خلال الكتب والوثائق المتواجدة على مستوى المؤسسات والمراكز، وأصبح الباحث رهين الكومبيوتر والملفات المنشورة دون أن يتساءل :كيف استطاع أولئك الباحثين في الدول المتقدمة أن ينتجوا هذا الكم الهائل من البحوث و الدراسات ؟

ISSN 2170-0796

إن الإنتاج العلمي ينطلق من الملاحظة و التجربة و الاستقصاء الميداني الذي يتعامل مع الأشياء والمشكلات والظواهر الكونية بشكل مباشر ولا ينطلق من البرامج المعلوماتية (logiciels)، نعم إن التقليد والمحاكاة أحد عوامل الإبداع والابتكار ولكن ينبغي أن نتجاوز مرحلة الطفولة نحو التفكير الذاتي و التصور المعرفي المبني على المعطيات المحلية والأفاق المستقبلية للمجتمع وفي هذا الإطار ينبغي أن تتحرر إرادة الباحث من التبعية وفقدان الثقة بالذات و تتكتل الجهود في صورة الفريق المنظم الذي تتكامل فيه المهارات والقدرات وتتعاون على بناء رؤية علمية هادفة تسعى لحل المشكلات الواقعية والمساهمة في صناعة الحضارة الإنسانية .

إن كثير من مؤسساتنا الاجتماعية والاقتصادية والخدمية تمتلك معلومات هائلة وتعاني مشكلات جمة لم تجد الباحث الذي يقدم أطروحات معتبرة لحل أزماتها المستعصية، أو لم تطرح قضاياها للبحث و التطوير، واتخذت من الحل الغربي والأمريكي مصدرا ومنهجا مما أدى إلى استمرار التبعية والاستلاب الحضاري و أثبت العجز والكسل وعدم الانتقال من مرحلة تكديس الأشياء و الأفكار كما يطرح المفكر مالك بن نبي .

وقد يرد البعض قائلا: إن البحث العلمي يحتاج إلى الدعم المادي والسياسي الذي يحتفي بالانجازات والمبادرات ويقدر الجهود والقدرات و إلا ما فائدة التعب والمشقة ؟ ومن ناحية أخرى ألا يعاني الباحث من أوضاع اجتماعية وإدارية صعبة تعوقه عن الاجتهاد والإبداع ؟ نعم إن القرار السياسي له دور فاعل في مستقبل البحث العلمي غير أن التاريخ أثبت حقائق أخرى أن العلماء كانوا دائما ذوي مشاريع حضارية تفوق مستوى صناع القرار, وإلا كيف نفسر المشوار العلمي لغاليلي الذي تعرض إلى الاضطهاد من طرف الكنيسة , ألم يواجه الإمام أحمد بن حنبل مشروع فكري معتزلي هدام مؤيد من طرف السلطة الحاكمة ، ألم يؤسس الإمام ابن تيمية مدرسة علمية وهو أفقر الناس ، ألم ينتج مارس مشروع الاشتراكية وهو يتلقى قوت يومه من طرف صديقه انجلز ،ألم يؤسس الشيخ عبد الحميد بن باديس مدارس ومراكز علمية في ظل الاستعمار ،وقد يعترض آخر بقوله:إننا نعيش في مجتمع لا يقدر القراءة والمعرفة مما يجعل مصير الكتب والنشر و الأبحاث إلى الرفوف و الأرشيف، ونرد على هذا الطرح: في أي مرحلة حضارية أثبت التاريخ مجتمع ما كان كله قارئا ومتعلما و يقدر العلم والمعرفة كأساس أول ؟ إن الانترنت لا يمكن أن تكون حلا لأزمتنا العلمية والمعرفية بل وسيلة لموائبتنا للحضارة المعاصرة، فالإنتاج العلمي موقعه المخبر والكتاب و الرحلة والمناقشة والاستقصاء الميداني.